شباب
التفاهم
العدد الثامن والسبعـون : شعبان 1442هـ - مارس 2021م
ملحق مجلة التفاهم تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

- اكتساب اللغة بين الطبيعة والتنشئة
- الإرادة الخيِّرة أساس تحقيق المؤتلف الإنساني
- الجدل اللانهائي بين المؤمنين بالعدل الإلهي والمشككين فيه
- الحقول الدلالية والمعجمية والأسطوريمات في ديوان أدونيس
- الطريقة الأمثل لتقديم الإسلام
- جدلية: هل العقل هو أساس القيم الأخلاقية؟
- غرف الصدى ومنصات التواصل الاجتماعي
- حرب كورونا على الاقتصاد
- كيف يحقق الغموض اللغوي مقاصد أفضل في المفاوضات التجارية؟
- هل حُسمت الحدود الزمنية لحقبة الأنثروبوسين؟
- هل مكيافيلي معلم للشر؟

أمَّـا قبل...!

د. هلال الحجري

في الأعداد السابقة، ترجمتُ من شعر الأطفال ما يناسب المراحل المتقدمة من سن 10 سنوات فأعلى.. والآن سأقدم طائفة من الأشعار تُناسب المراحل الدنيا من الصف الأول إلى الثالث، أي بين السنوات 6-9.

من هذه الأشعار أبيات بعنوان «السلحفاة الصغيرة» للكاتبة البريطانية كارولين جراهام Carolyn Graham (من مواليد 17 يوليو 1931)، وهي روائية ولها شعر موجَّه للأطفال بعنوان «كعكة الشوكولاتة: أغانٍ وقصائد للأطفال".

"السلحفاة الصغيرة».. قصيدة في منهج اللغة الإنجليزية للصف الأول تستند إلى قصص الحيوانات، وتتكون من أربعة أبيات قصيرة. لغتها بسيطة جدًّا ويفهمها الأطفال في هذه السن. الأبيات بصيغة المتكلم حيث تقدم سلحفاة نفسها، وتصف زحفها البطيء وأنها تحمل قوقعتها طوال الوقت، لكنها حين تتعب فإنها تضع رأسها وأرجلها وذيلها داخل القوقعة وتشعر بالأمان داخلها.

أنا سُلْحَفاةٌ طِفلَةٌ...
زَحْفي بطيئٌ كالصِّغارْ

بَيْتي على ظَهْرِيْ مَعيْ...
أمشي وَلَوْ طالَ المَسارْ

وإذا تَعِبْتُ وَضَعْتُ رَأسيْ فيهِ، أرْجُليَ القِصارْ

وكذاكَ ذَيْليْ، ثم نِمتُ مَنامَ مَنْ وَجَدَ الدِّيارْ

hilalalhajri@hotmail.com

هل حُسمت الحدود الزمنية لحقبة الأنثروبوسين؟

• وليد العبري

تناقش الباحثة ميرا سوبرامانيان المتخصصة في علم الجيولوجيا، في مقالتها «هل ترجح كفة البشر، أم كفة الأرض؟»، والمنشورة في مجلة "Nature" في العدد التاسع من عام ٢٠١٩، المخلفات النووية، والتلوث الناجم عن الزئبق، وغير ذلك من علامات عصر الأنثروبوسين، وهو حقبة جيولوجية جديدة مقترحة، تُقرّ الكيفية التي غيربها البشر وجه الكوكب.

إنّ بحيرة كروفورد صغيرة للغاية، لدرجة أن الوقت الذي يستغرقه المرء للتجول على امتداد شاطئها هو عشر دقائق، لا غير، لكن هذه البحيرة -الواقعة في جنوب أونتاريو في كندا- تخفي أسفل سطحها شيئا مميزا يجذب انتباه العلماء من كل أنحاء الكوكب، إذ يبحث العلماء عن علامة مميزة مدفونة في أعماق الطين؛ عن إشارة تحدد اللحظة التي اكتسب فيها البشر قدرا من القوة؛ مكنَهم من البدء في تغيير الكوكب تغييرا لا رجعة فيه. ومن الممكن أن تكون طبقات الطين في هذه البحيرة نقطة بداية حقبة -الأنثروبوسين»؛ تلك الحقبة الجديدة المحتمَلة من التاريخ الجيولوجي.

وتتسم هذه البحيرة بعمق سحيق، يُعَد مدهشا بالنظر إلى حجمها، وهو ما يمنع اختلاط مياهها بصورة كاملة، وهذا يترك قاعها غير متأثر بالديدان الحفارة، أو التيارات المائية. وتتراكم طبقات الرواسب فيها مثل الحلقات الشجرية، مُشكلةً أرشيفا يمتد إلى حوالي ألف عام مضى. احتفظت هذه البحيرة - بشكل شديد الدقة - بأدلة من حياة قبائل الإيروكواس، التي زرعت الذُّرة على ضفافها قبل ما لا يقل عن ٧٥٠ عاما، ثم بأدلة من حياة المستوطنين الأوروبيين، الذين بدأوا عملية الزراعة وقطع الأشجار هناك بعدها بأكثر من خمسة قرون. والآن، يبحث العلماء عن آثار أحدث وأبرز بكثير، تدل على الاضطراب البيئي المرتبط بالبشر.

تقول فرانسين ماكارثي - عالِمة الأحافير الدقيقة بجامعة بروك المجاورة للبحيرة في سانت كاثرينز بأونتاريو - إن عينات اللب الصخري المستخرجة من قاع البحيرة «يُفترض أن تُسفر عن علامة شديدة الوضوح»، مضيفة بقولها إنّ تلك العلامة «لن تكون واحدة من تلك العلامات غير الواضحة بسبب سحق المحار لها». وتدرس مكارثي البحيرة منذ ثمانينيات القرن العشرين، لكنها تتطلع إليها الآن من منظور جديد مختلف تماما.

وبحيرة كروفورد هي واحدة من عشرة مواقع حول الأرض، يعكف الباحثون على دراستها، بوصفها معالم قد تدل على بداية حقبة الأنثروبوسين (عصر التأثير البشري على البيئة)، وهو تصنيف غير رسمي حتى الآن، تجري دراسة إدراجه ضمن المقياس الزمني الجيولوجي. وعلى أثر ذلك، تشكلت -مجموعة العمل المعنية بحقبة الأنثروبوسين – AWG " وهي لجنة مؤلفة من ٣٤ باحثًا، أسستها اللجنة الدولية المعنية بعلم طبقات الأرض (ICS)في عام ٢٠٠٩ - وهي تقود الجهود الرامية إلى صياغة مقترح للإقرار رسميا بحقبة الأنثروبوسين. وستشكل هذه الحقبة الجديدة نقطة تحول واضحة من -العصر الهولوسيني "Holocene"، الذي بدأ مع نهاية العصر الجليدي الأخير.

ومن أجل تحديد حقبة جديدة، يحتاج الباحثون إلى العثور على علامة تعبِر عنها في السجل الصخري، تحدد النقطة التي تعاظم عندها النشاط البشري بصورة واسعة النطاق، لدرجة أنه خلف بصمة لا تمحى على الكوكب.

وبمجرد اختيار العلامة المعبرة عن تلك الحقبة، سيحتاج الباحثون العاملون مع مجموعة العمل المعنية بحقبة الأنثروبوسين إلى جمع ما يكفي من الأدلة من كل أنحاء العالم، لإقناع هيئات إدارة العلوم الجيولوجية بأنهم قد عثروا على إشارة موثوق في صحتها، تحدد بداية حقبة الأنثروبوسين، غير أن بعض العلماء يحاجون بأن النشاط البشري يشكل الكوكب منذ آلاف السنين، وأن مجموعة العمل قد تسرعت بالاستقرار على عقد الخمسينيات من القرن العشرين على أنه يشكل بداية العصر الجيولوجي المقترح. ومن هنا، قام إيرل إليس - عالم الجغرافيا بجامعة ميريلاند في مقاطعة بلتيمور، وعضو مجموعة العمل المعنية بحقبة الأنثروبوسين - بانتقاد خطط اللجنة الرامية إلى تحديد بداية حقبة الأنثروبوسين. فعلى حد قوله: «إن مجموعة العمل المعنية بحقبة الأنثروبوسين حسمت الحدود الزمنية للحقبة، قبل أن تتخذ قرارا بشأن ما يميزها، وليس العكس.

وستكون للصخور كلمة الفصل في النهاية، فمسألة اتخاذ قرار رسمي بتحديد حقبة الأنثروبوسين ستعتمد - في نهاية المطاف - على أدلة موجودة في طبقات الأرض، ومحفوظة في السجل الجيولوجي. وبعبارة أخرى، أدلة تحسم ما إذا كان البشر قد تركوا مجموعة علامات مميزة محفوظة في الصخور، وفي طين قاع البحار، أو في الجليد، تشير إلى حدوث تغيير جوهري على الكوكب، أم لا.

وفي التصويت الأخير، قرر أعضاء مجموعة العمل -بأغلبية ساحقة- تقصي طفرة ذهبية وقعت في منتصف القرن العشرين، إذ إن هذا الوقت يمثل بداية ما يُعرف بـ«التسارع العظيم»، وهو تحول سريع حدث بعد الحرب العالمية الثانية، حين بدأ العدد المتزايد من السكان في استهلاك الموارد، وتصنيع مواد جديدة بالكامل بمعدلات هائلة تفوقت حتى على معدلات الثورة الصناعية. وكل تلك الأنشطة تسببت في إغراق البيئة بكميات غير مسبوقة من الملوثات العضوية الثابتة، وسرّعت معدل انقراض الحيوانات، وخلقت بعض السمات الجيولوجية التي لم يكن لها وجود من قبل.

وتخوض بحيرة كروفورد منافسة شرسة؛ للإقرار بأنها البقعة التي تجسد الطفرة الذهبية. وينسق كولين ووترز -عالم الجيولوجيا بجامعة ليستر، وأمين مجموعة العمل المعنيَة بحقبة الأنثروبوسين- بين الفرق البحثية التي تعكف على دراسة إحدى البحيرات الصناعية في كاليفورنيا، ولُب جليدي من القارة القطبية الجنوبية، ورواسب من أحد الكهوف في شمال إيطاليا، وشعاب مرجانية في الكاريبي وأستراليا، ومستنقع خث في سويسرا، فضلا عن مواقع أخرى. وكلها ستُجرَى فيها اختبارات؛ للبحث عن إشارات تدل على وجود نويات مشعة، تتمثل -في أغلب الظن- في الكربون 14، والنظير المشع طويل العمر البلوتونيوم-239، إضافة للبحث عن علامات ثانوية، تتراوح من الملوثات العضوية الثابتة، والبلاستيك المجهري، وصولا إلى الرماد المتطاير الناتج عن حرق الفحم.

مثل سجل طبقات الأرض الذي يدرسه الباحثون، فإن القرار الرسمي بتعيين حقبة الأنثروبوسين يتضمن مستويات متعددة. وتهدف مجموعة العمل المعنية بحقبة الأنثروبوسين إلى أنْ تُقَدم بحلول عام ٢٠٢١ مقترحا نهائيا للكيان الأم لها، وهي اللجنة الفرعية الرباعية التابعة للجنة الدولية المعنية بعلم طبقات الأرض. ويحدد هذا المقترح طفرة ذهبية من منتصف القرن العشرين، وإذا حظي هذا المقترح بالموافقة، فستجري اللجنة الدولية المعنية بعلم طبقات الأرض تصويتا عليه، ثم سيُقدم بعد ذلك إلى اللجنة التنفيذية التابعة لـ «الاتحاد الدولي للعلوم الجيولوجية»؛ من أجل التصديق عليه بصورة نهائية. وفي حال اجتياز عصر الأنثروبوسين لكل هذه العقبات، فإنه سيصبح رسميا وحدة جديدة في المخطط الدولي لتاريخ طبقات الأرض، المعروف أكثر باسم «المقياس الزمني الجيولوجي». وحتى الآن، فإن جميع الطفرات الذهبية الست والخمسين، التي جرى التصديق عليها، تأتي من بيئات بحرية، باستثناء العلامة الوحيدة، التي تحدد بداية العصر الهولوسيني، والتي تعتمد على لب جليدي من جرينلاند.

لا يشعر الجميع بالاقتناع بأن في وسع مجموعة العمل اتخاذ القرار حتى الآن. وتتمثل إحدى النقاط الخلافية في أن مجموعة العمل قد اتخذت قرارا بشأن الحدود الزمنية لهذا العصر، رغم أنها لم تستقر بعد على تحديد الطفرة الذهبية في سجل طبقات الأرض. وحسبما يقول مات إيدجوورث، عالم الآثار بجامعة ليستر، فإن ذلك بمثابة «فَرض للأفكار على المسألة، وقولبة للأدلة؛ كي تصبح مناسبة، لكن ينبغي أن يسير الأمر بشكل معكوس.

Wali7-alabri@hotmail.com

الإرادة الخيِّرة أساس تحقيق المؤتلف الإنساني

• أيمن البيماني

ظهرتْ فلسفة الأخلاق ولاقت رواجا منذ قرون خلت، وتشهد حاليا تجددا ملحوظا في جميع تفاصيلها كالمباحث والنظريات. ومما لا شك فيه أن للعديد من الفلاسفة دوراً مباشراً بها في الوقت الحالي، وحيث اختلفت المسائل الأخلاقية في مختلف مجالات الحياة كالتطور الصناعي والعلمي والاقتصادي والنظم البيئية. وهذا ما سوف نناقشه حول مقال الزواوي بغوره «أخلاق الواجب والمؤتلف الإنساني في الفلسفة المعاصرة» - والمنشور في مجلة «التفاهم».

تلعبُ أخلاق الواجب دورا كبيرا في تشكيل توجهات النقاش الأخلاقي المعاصر، ورغم ارتباط مفهوم الواجب بالفلسفة المعاصرة؛ إلا أنه مصطلح يعود للقرن الرابع قبل الميلاد، ويُقصد به ما يجب القيام به ويتناسب مع الطبيعة. لقد أثار نقاش «إمكانية وضع مبادئ أخلاقية» نقاشا معرفيا مثيرا وشكّل أهمية معاصرة للغاية، وجسّد نظرية الواجب الأخلاقي التي أرسى دعائمها الفيلسوف الألماني (كانط)، والتي تتقدّمها مفاهيم أساسية؛ أهمها: الإرادة الخيّرة التي لا تستمد خيريّتها من المقاصد أو الغايات أو العوامل الخارجية، وإنما هي بذاتها خيرية نفعية، والتي وإنْ انعدمت من أي عمل فقد صبغته الأخلاقية، ولا تشمل الحالات الممتنع عنها بصفة القانون كالسرقة...وغيرها. وهنا، يميّز الواجب بأنه منزه من كل غرض ومقصد أو منفعة، وأنه بحدّ ذاته أساس كل عمل أخلاقي وليس مشروطا بأي شيء آخر.

وقد أوضح «كانط» المبادئ والقيم الخاصة بأخلاق الواجب؛ ومن أهمها: العقل؛ أي أن للواجب طابعا عقليا أساسيا، وكذلك له طابع الكرامة والاحترام، وبالتالي فإن احترام القانون والآخرين هو احترامنا لذواتنا ولكرامتنا، وأن الاحترام دائما ما يذهب للأشخاص لا إلى الأشياء التي هي موضع الاحترام، وهو ما يؤكد صحة عبارة «تنتهي حريتي عندما تبدأ حرية الآخرين»، وبالتالي فإن احترام الشخص إنما هو احترام للقانون الأخلاقي.

وإنَّ من مظاهر تعريف المجتمعات الحديثة للاحترام هو ظهور الفرد الذي يتمتع بالمساواة القانونية مع غيره، وهو اعتراف بالمنزلة القانونية للاحترام، وأن الاحترام هو احترام قيمة في الشخص الآخر، وعدم احترام تلك القيمة يعد ظلما وطمسا للعدل، مما يشير إلى اتساع دائرة الاحترام من الحياة العامة وامتداده للحياة الخاصة.

لقد ظهر العديد من المعالم الحديثة لأخلاق الواجب في الفلسفة المعاصرة، وتعد الكانطية -نسبة إلى كانط- من أهم التيارات الفلسفية المعاصرة التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر، وتميّزت بمحاولتها تطبيق المنهج الكانطي على قضايا المعرفة والقيم. وهنا نذكر مدرسة «ماربورغ» الاتجاه الأكثر عقلانية من سائر فروع الكانطية الحديثة، ومدرسة «كوهين» والتي عملت على إعادة صياغة الفلسفة الكانطية على مستوى نظرية المعرفة والأخلاق بثلاثيتها المشهورة (منطق المعرفة الخالصة - أخلاق الإرادة الخالصة - جمالية الشعور الخالص)، ومن ثم مدرسة «أرنست كاسيرر» الذي أسهب في مفهوم الحرية وعلاقتها بالاستقلال الذاتي، ودورها في التأسيس الحديث لمفهوم الأخلاق مقارنة بالتصورات الأخلاقية القديمة. وقد ذهب العديد من الفلاسفة إلى أن فلسفة كانط لم تقم على فكرة الإرادة الحرة؛ لذلك انتقلت الفلسفات الحديثة من حالة الخضوع إلى حالة الإرادة والحرية ومفهوم الشخص الإنساني الذي يتحكم بالاستقلالية والطابع العقلي.

أما الفيلسوف الأمريكي جون رولز، فقد شكّلت بعض مفاهيم الأخلاق لدى كانط عنصرا أساسيا في فلسفته، وكان الاختلاف بينهما في المنهج المستخدم، حيث ركّز كانط على توفير منهج عام لتناول القضايا الأخلاقية ومسائل العدالة، بينما ركّز رولز على أن النظرية الكانطية تستطيع أن تبني رواية فقط لقصة العدالة، نستطيع بناء رواية معللة لقصة الحقّ لكن ليس لقصة الخير، لقصة العدالة لكن ليس لقصة الفضيلة. وما يعنينا هنا هو الإشارة إلى بعض سمات العدل كقيمة أخلاقية أساسية، وإشارة رولز في رأيه أن العدالة هي الفضيلة الأولى للمؤسسات الاجتماعية، مثلما أن الحقيقة فضيلة الأنساق الفكرية.

لقد أسهم الفيلسوف الألماني «هابرماس» في مجال التواصل المؤسس على نتائج نظرية أفعال الكلام، والتي تميّزت بقدرتها على التفسير الاجتماعي والسياسي والقانوني، وكذلك إمكانية تطبيق نظرية التواصل في ميادين الحياة المختلفة. إن الفعل التواصلي لا يقوم على تبادل المعلومات ضمن سياق محدد، وإنما بتأويل ما يحدث وبلورة القواعد العامة للعيش الجماعي، ومن ثم إسهام التواصل الفعلي في بناء العالم الاجتماعي المشترك، ولذلك فإن تقييم نجاح أو فشل أي تواصل اجتماعي يصبح ضرورة عملية لكل تفكير اجتماعي.

وللتواصل الاجتماعي شروط تحكمه كالحجاج والمناقشة والحق في القبول والرفض، والتي بدونها لا يمكن للتواصل الاجتماعي أن يقوم أصلا. ولذلك أصبح من الضروري قيام نظام معياري أخلاقي مؤسساتي يفرض حدود التوافق لتحقيق التواصل الاجتماعي بكل عدالة وحرية وشفافية، لا سيما بعد تعرض التواصل الاجتماعي لعدة عقبات كالعنف، والخداع، والكذب، وغيرها. وهنا تأتي الأهمية الأخرى لتأسيس قاعدة أخلاق المحادثة بإقامة أسس ومعايير للفعل الأخلاقي والسياسي مستندة إلى اللغة وأفعال الكلام، بحيث أن شروع الإنسان في الكلام يكون قد قبل على ضرورة الاحتكام إلى معيار أخلاقي من أجل تواصل اجتماعي فعال وعادل بين جميع الأطراف.

وشكلت علاقة الفيلسوف الفرنسي «آلان رونو» بكانط ارتباط وثيقا كعلاقة متعددة، وذهب إلى أهم القراءات المعاصرة لكانط، ثم ناقش أوجه الاختلاف الفلسفي بين «هابرماس» و «رولز»، وأن أوجه الاختلاف بينهما ظاهري أكثر منه جوهري، وأن «هابرماس» ذهب إلى اعتماد نموذج جديد في التأويل والتفسير، على حساب الوعي والعقل.

وعليه، يوضّح «رونو» موقفه من المسألة الأخلاقية أن فلسفة الأخلاق لا يمكنها بأي شكل من الأشكال تجنب سؤال كانط: «ما الذي يمكنني القيام به؟»، ناقداً مختلف أشكال النزعات المناهضة للإنسان، وبإثباته أن القيم الليبرالية جزء مهم من الأخلاق العقلية، وأن الأخلاق الكونية قائمة على جملة من الحقوق والواجبات التي تطبق على كل إنسان، وأن الحجاج العام هو أساس العقلانية الأخلاقية بين الناس.

... إنَّ فلسفة الواجب، والقيام بالواجب، واحترام العلاقات الإنسانية بين الإنسان والإنسان؛ سوف تفضي إلى تحقيق المؤتلف الإنساني المستند على الإرادة الخيّرة، والتي تحفظ كرامة الإنسان، وتعطيه الحق في المشاركة، والحوار، والتفاعل مع الآخر بكل استقلالية وحرية.

albimani92@hotmail.com

هل مكيافيلي معلم للشر؟

• زينب الكلبانية

يناقش الباحث والأكاديمي إيكر كوجيل من جامعة جوش، المتخصص في العلوم الاجتماعية والإنسانية، في مجلة "ResearchGate"ورقة بحثية مهمة نشرها عام ٢٠٢٠م، حول منطلق ما إذا كان مكيافيلي معلما للشر أم لا، مع إشارة محددة إلى نصه «الأمير»؛ إذ يجب أن يُظهر أولا ما الذي علمه مكيافيلي وكيف لا يمكن تبرير ذلك إلا من خلال العواقبية. يجب بعد ذلك مناقشة ما إذا كانت العواقبية هي نظرية أخلاقية قابلة للتطبيق، من أجل أنها يمكن أن تبرر تعليم مكيافيلي. بحجة أن هذا ليس هو الحال.

للبدء، يجب إظهار ما علّمه مكيافيلي أو اقترح اعتماده، من أجل أن يحتفظ الحاكم بالسلطة. لفهم هذا، من الضروري فهم المشهد السياسي لهذه الفترة. نُشر كتاب الأمير بعد وفاته عام ١٥٣٢، وكان القصد منه أن يكون دليلا لحكام الإمارات. وُلد مكيافيلي في إيطاليا، وخلال تلك الفترة، كانت هناك حروب عديدة بين مختلف الدول التي شكلت إيطاليا. كانت هذه الولايات إما جمهوريات (تحكمها هيئة منتخبة) أو إمارات (يحكمها ملك أو حاكم واحد). كتب الأمير وخصص لورنزو دي ميديشي الذي كان مسؤولاً عن فلورنسا التي كانت، رغم كونها جمهورية، استبدادية، مثل الإمارة. يهدف عمل مكيافيلي إلى تقديم نصيحة لورنزو دي ميديشي للحكم كأمير استبدادي.

الهدف النهائي الذي يهدف إليه مكيافيلي في كتابه الأمير، هو بقاء الأمير في السلطة على رعاياه. النقاد الذين يزعمون أن مكيافيلي شرير لا يؤمنون بهذا الرأي، بالضرورة، بسبب هذا الهدف النهائي، ولكن بالطريقة التي ينصح بها مكيافيلي بتحقيقه. هذا لأنه، لتحقيق هذه الغاية النهائية، يعتقد مكيافيلي أنه لا داعي للادخار في حساب أخلاقي. هذا هو الموضوع الذي يتواصل باستمرار من خلال العمل. على سبيل المثال، في تأمين الحكم على رعايا إمارة مكتسبة حديثا، والتي كان يحكمها سابقا أمير آخر، كتب مكيافيلي:

«الاحتفاظ بها بشكل آمن هو تدمير أسرة الأمير الذي كان يحكمهم». أي، من أجل حكم إمارة جديدة، من الضروري «تدمير» عائلة الأمير السابق. علاوة على ذلك، فإن حساب الأخلاق لا يقتصر على الأفعال الجسدية، مثل القتل الموصى به، ولكن الخداع والتلاعب. يظهر مثال على ذلك في ادعاء مكيافيلي: «لذلك ليس من الضروري أن يمتلك الأمير كل الصفات الحميدة التي ذكرتها، لكن من الضروري جدا أن يبدو أنه يمتلكها. وسأجرؤ على قول هذا أيضا، إن الحصول عليها ومراقبتها دائما أمر ضار، وإن الظهور بمظهر أنها تمتلكها أمر مفيد «.

هنا، يدعي مكيافيلي أن الفضائل ضرورية للحاكم فقط بقدر ما يبدو أن الحاكم يمتلكها. ومع ذلك، فإن التصرف بالفضائل فقط سيكون في النهاية ضارا للحفاظ على الحاكم، حيث قد يضطرون في كثير من الأحيان إلى التصرف ضد الفضائل لقمع التمرد، على سبيل المثال. يجب أن يكون الأمير قادرا على الظهور بشكل عادل، حتى يتم الوثوق به، ولكنه في الواقع ليس كذلك، حتى يتمكن من الحفاظ على هيمنته.

تقول النظرية العواقبية إن أخلاقية الفعل تعتمد على عواقبه. إذا أدى الفعل أو الأفعال إلى نتائج أفضل في النهاية (مهما كان ذلك يمكن قياسها) من غير ذلك، فإن الفعل يكون جيدا. ومع ذلك، إذا كان من الممكن أن يؤدي فعل مختلف، في هذه الحالة، إلى نتائج أفضل، فإن الإجراء المتخذ سيكون غير أخلاقي.

الموقف الكلاسيكي للعواقبية هو النفعية. دافع بنثام أولا عن مبدأين، وادعى أن مبدأين يحكمان البشرية - اللذة والألم - وأن تحقيق الأول وتجنب الثاني هو الذي يحدد كيفية تصرفنا. يتم ذلك إما على أساس فردي، أو على أساس جماعي، حسب الحالة. في الحالة الأولى، العمل الجيد هو الذي يمنح الفرد أكبر قدر من المتعة أو أقل الألم. في الحالة الثانية، يكون الفعل الجيد هو الذي يمنح المجموعة الجماعية أكبر قدر من المتعة أو أقل ألم. تتكون المجموعة الجماعية من الأفراد، وبالتالي فإن العمل الجيد سينتج معظم المتعة إذا فعل ذلك لأكبر عدد من الناس. لذلك، تدعي النفعية أن الفعل جيد إذا كانت نتائجه تنتج أكبر قدر من السعادة (أو المتعة) لأكبر قدر من الناس، أو تجنب أكبر قدر من التعاسة (أو الألم) لأكبر قدر من الناس.

الشاغل الرئيسي الثاني هو أنه يستخدم الأشخاص كوسائل وليس غايات، ويبدو أن هذا شيء غير صحيح بشكل بديهي، كما يتضح من مشكلة العربة. وبالتالي فإن مشكلة العربة هي: قطار، خارج عن السيطرة، يتجه نحو خمسة عمال على المسار. يتمتع السائق بفرصة التغيير إلى مسار آخر، حيث يوجد عامل واحد. يجادل طومسون بأنه سيكون «مسموحا أخلاقيا» تغيير المسار وقتل الشخص. ومع ذلك، فإن العواقبية ستذكر هنا أن «الأخلاق تتطلب منك» تغيير المسار، حيث تقل المعاناة في وفاة شخص واحد عن خمسة. يجب ملاحظة الاختلاف في هذين الموقفين.

هنا يكمن القلق الرئيسي للعواقبية، وبالتالي دفاع مكيافيلي: تلك العواقبية تبرر استخدام الناس كوسيلة لتحقيق غاية، وليس غاية داخل أنفسهم. يشتهر كانط في انتقاد هذا النقد، حيث يدعي أن البشر كائنات عاقلة، ولا نذكر أنهم «أشياء»، ولكن بدلا من ذلك نسميهم «أشخاص». يمكن استخدام الأشياء فقط كوسيلة، وليس الأشخاص، الذين يمثلون غاية في حد ذاتها. إن استخدام شخص كوسيلة وليس غاية يعني معاملته على أنه شيء آخر غير فاعل عقلاني، وهو أمر غير أخلاقي، كما يدعي كانط.

يجب تطبيق هذا الآن على مكيافيلي. في نصحه بقتل الآخرين وخداعهم، فإنه يدعو إلى معاملة الناس على أنهم مجرد وسيلة، باستخدامهم من أجل الحصول على الغاية النهائية للاحتفاظ بالسلطة. على الرغم من أن هذه الغاية النهائية قد تجلب سلامًا أكبر، وبالتالي متعة لعدد أكبر من الناس، يمكن القول إن السلام الذي تم الحصول عليه لا يفوق الأعمال اللاأخلاقية المطلوبة لخلق هذا السلام.

ربما يكون السعي وراء السلطة من أجل تعزيز السلام مبررا. ومع ذلك، كما هو مصدر قلق كبير مع النهج المعياري للعواقبية، يمكن أن يؤدي عدم القدرة على التنبؤ بالعواقب إلى غايات غير متوقعة. قد يأخذ الأمير الافتراضي بنصيحة مكيافيلي، ويتبعها حرفيا، وينتج إحدى النتائج الثلاث:

- يتم الحصول على القوة والحصول على السلام.
- يتم الحصول على السلطة ولكن لا يتم الحصول على السلام.
- لا قوة ولا سلام.

فقط في أول هذه النتائج يمكن أن يكون هناك أي تبرير عواقبي. ومع ذلك، فإن هذا يعني أن هناك نتيجتين محتملتين لا يمكن أن يكون فيهما تبرير عواقبي، ومن المستحيل معرفة النتيجة التي سيتم الحصول عليها حقا. هذا هو نقد كل من ميكافيلي والعواقبية: إن الخطر الذي ينطوي عليه التمثيل كبير جدا، مع وجود فرصة للفشل وبالتالي أفعال غير مبررة، عندما يكون من المستحيل معرفة نتائج الأفعال حقا. إن طبيعة الخطر هي ما يجعل هذا غير مبرر، حيث إن الخطر ضد حياة الإنسان ورفاهيته وسلامته. يتغاضى مكيافيلي عن استخدام الناس كمجرد وسيلة لتحقيق غاية دون ضمان نهاية إيجابية من خلال تبرير عواقبي.

في الختام، تم توضيح ما طرحه مكيافيلي على أنه تعاليمه بإيجاز. كما تم توضيح كيف أن التبرير الوحيد لتعاليم مكيافيلي هو النهج العواقبي. ومع ذلك، فإن الانتقادات الموجهة ضد مكيافيلي والعواقبية، مثل تبرير الفظائع الجماعية، واستخدام الناس كوسائل لتحقيق الغايات، وعدم القدرة على التنبؤ بالتنفيذ العملي، تُظهر فشلها كمبرر مقبول لتعاليمه.

zainbalkalbany1212@gmail.com

الحقول الدلالية والمعجمية والأسطوريمات في ديوان أدونيس

• رقية الكندية

يعرف التجسيد -وفق دراسة أجراها شاهينة علي دندش- في مقاله «الحقول المعجمية والحقول الدلالية المعبرة عن أبعاد تجسيدية»، والمنشور في مجلة العلوم الإنسانية والعربية (الإصدار الرابع ٢٠٢١)، بأنه تقنية فعالة تستخدم في الكتابات الشعرية والدواوين؛ من أجل دعم الإيحاء الشعوري والحسي؛ وذلك من خلال ارتباطه بالمفاهيم الكونية، والأفكار النقدية. ونظرا لأهميته، نجد أن أدونيس اعتمد عليه في كتاباته -خصوصا في ديوانه «المسرح والمرايا»- قام بتوظيف الحقول المعجمية والدلالية، والأسطورة لبث الأفكار النقدية والشاعرية، والابتعاد عن الواقع، وضمن في أشعاره القيم التعبيرية. من هنا، يتمحور هذا المقال حول انبعاث الطاقة الإيحائية المجسدة في ديوان أدونيس وتضمنها لكسيمات «وحدات معجمية» مختلفة، واستخدام أدونيس للمقابلات الثنائية، وتوظيفه للحقول المعجمية الخيطية والمكثفة، وحذفه لتلك الأخرى، واعتماده على الأسطوريمات، وأخيرا إيجاز السياق في ألفاظه المعجمية.

ونلحظ الكثير من الطاقة الإيحائية في كتابات أدونيس التي تتوافق مع تعدد الألفاظ الشعرية المستخدمة بطريقة مختلفة، وإبداعية، ومتجددة مما يجعلها تجذب انتباه القارئ، وتجعله يعيش شعور المقروء نفسه، ويدعم أدونيس هذه الطاقة باستخدامه لكسيمات مختلفة ذات دلالات تعبيرية متنوعة، وعميقة المعنى، ومثال عليها، لكسيم الماء الذي ورد كوحدة معجمية صادمة في الشطر المركزي التالي: «أقفاص تعلو/ تعبر في غابات الصوت/ في الأفكار وفي الأشياء» الصخرة ماء/ والأعضاء شتاء بارد...الخ؛ فأوضح أدونيس علاقة الماء بما يجاوره من الصخور، والأغصان، كما نجد أنه عبر عن لكسيم الماء بألفاظ مختلفة كالبحر، والثلج، والسيل، وغيرها مما يبرهن الدراية الأسلوبية والخصوصية الشعرية لديه. كما لجأ إلى المقابلات الثنائية لتقوية اللفظ بالمعنى من خلال تكراره لوقع الألفاظ بطريقة انزياحيه وإبداعية، وبمعاني ودلالات مختلفة مشكلة حقولا معجمية خيطية، أو مكثفة تبرز في الشطور والقافية، ومع ذلك، لم يكتف أدونيس بقافية واحدة بل كان ينتقل من قافية لأخرى - كما قال في هذا المقطع: أدعوك أيامي بلا حارس/ وهذه المسافة المقفره/ وليمه للحلم، عيد من الحنين من أشجاره المثمره/ - فتعبر القافية الأولى عن السلطة ووسائلها، في حين تعبر القافية الثانية عن عدم اكتراث الدول بشؤون الشعب، الخ. ويشترط أدونيس في قوافيه عدم تخلخل المعنى، ويتضمن حلاوة في نطق الألفاظ بطريقة إيقاعية ومتناسقة، ونوع الحقول المعجمية فمنها ما يرمز إلى الطبيعة كلكسيم الماء وما يتدرج منه من دلالات تتضمن البحر، والثلج، والموج، وغيرها، كما ركز على لكسيم النار، والحيوان اللذين بدورهما يجسدان مفهوم، ومعنى العواطف والحواس. ومن هذا المنطلق، فإن هذه الوحدات المعجمية بما تشمله من معاني عميقة عززت علاقة أدونيس بكون الله ومخلوقاته، وقوت ارتباطه بالوحدات الأسطورية، والفلسفية، والصوفية الخ، ولا ننسى اطلاعه وتأثره بكتابات الآخرين من حوله كأورفيوس ونرسيس.

وأحيانا أخرى، يستثني أدونيس بعض الحقول المعجمية، ليس ضعفا منه بل مرتكزا على الحقول الدلالية؛ التي بدورها تعوض عن تلك الحقول المحذوفة، وتمنح القصيدة قوة وصلابة وحيوية، ولا نعني بذلك تركيز أدونيس على الحقول الدلالية وانحيازه لها، بل إن كلا الحقلين يتشاركان ويسهمان في بناء القصيدة، وتحديد المعنى. ومما لا شك فيه، فإن القارئ يميل إلى تلحين ما يقرأ من الأبيات الشعرية المملوءة بالجماليات اللفظية والدلالية، واستشعارها والعيش فيها، بل ومشاركتها مع أقرانه.

... إنَّ ترابط الأبيات الشعرية فيما بينها يسمى بالربط الضمني «الأسطوريمات»، وهو ما استند إليه أدونيس في لغته الشعرية بجانب الحقول المعجمية؛ فكلاهما يكملان معنى القصيدة وبناءها اللغوي والجمالي، وتخصب الأسطوريمات الرؤية الشعرية التي تمثل قناعات أدونيس الفكرية، والتي تكون أحيانا بعيدة عن الواقع مرتكزة على الرؤى الفلسفية. وتشمل الأسطوريمات أساطير متعددة المعاني كتلك التي وظفها أدونيس في أسطوريم الفينيق في قصائده كالدجاج واليمام، والدلالات المعبرة في أسطوريم الرحيل كالطريق، والبحار، والأمواج، والسفينة، الخ. وتختلف باختلاف نظرة الشاعر وأسلوبه، وخبرته، والحالة التي يمر بها، وحداثته في الشعر؛ فعلى سبيل المثال ينظر نرسيس للمرآه على أنها الماء، وفي المقابل ينظر لها أدونيس على أنها فناء العمر وانقضاؤه.

... إنَّ مُمارسة كتابة القصائد الشعرية تتطلب مخيلة واسعة، ومحاصيل لغوية، ودلالية متنوعة، وخبرة واسعة في تجسيد الأسطوريمات؛ مما يجعل عقلية القراء تتفاوت في فهم ما يوحي إليه الشاعر؛ وكيف لا وهي تكاد تكون غامضة المعنى خصوصا لذوي المخيلة المحدودة أو العلمية أحيانا.

يكسب الإيجاز الكلمات المعجمية في القصائد الشعرية معاني جديدة مرتبطة بالسياق الذي جاءت فيه. وعليه، نجد أن أدونيس وظف الإيجاز المتجسد في الحقول المعجمية في أبياته الشعرية ليتماشى مع ثقافته، وتفكيره، وثراء تجربته. ومثال ذلك تطرقه المستمر -كما ذكرنا سابقا- لدلالات الطبيعة كالمنارة، والحياة، والطيور الخ. كما اتخذ أدونيس منحنى ميتافيزيقيا «ما وراء الطبيعة» معتمدا على فلسفات مختلفة مثل انبثاق الحياة من الجمر، ونشوء الماء من الدم وغيرها، متميزا عن غيره من الشعراء بقدرته على التعبير بحرية في قصائده الشعرية مستعينا بالأساطير والحقول المعجمية والدلالية، كما أنه تغنى بأشعاره ساحرا للمستمعين من حوله.

وختاما.. نلحظُ أنَّ هناك عوامل نفسية -كالحزن، والفرح، والعتاب- وطبيعية -كالمناخ البيئي- تؤثر على الكاتب وإبداعه في إيصال أبياته لذهن القارئ والمستمع -كما هي الحال عند أدونيس- وإيحاءاته التعبيرية المملوءة بالطاقة التأثيرية، وشمول أشعاره للانزياح الإبداعي في الحقول اللفظية، واهتمامه بالحقول المعجمية والدلالية لتجسد مفهوم العواطف والحواس والتي حصنت علاقته بالكون والخالق، وقناعاته الفكرية المرتبطة بالرؤية المستقبلية، وتوظيفه للأسطورة التي بدورها تبث الأفكار النقدية حول واقع الثقافة العربية.

ونجد أن هناك اختلافات في كتابات الشعراء؛ فمنهم من يميل إلى الحقول المعجمية والدلالية البسيطة، ومنهم من يستند إلى الأسطوريمات أكثر من اعتماده على الحقول وهنا تكمن قوة القصائد الشعرية، وتفاوتها في تذوقها الجمالي من قبل القارئ والمستمع.

ruqaiya-956@hotmail.com

الطريقة الأمثل لتقديم الإسلام

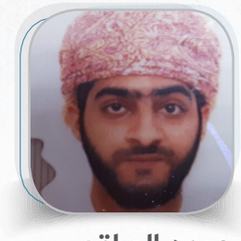

• حميد الصلتي

لقد امتن الله عزوجل علينا بنعمة الحياة، وإن هذه النعمة من أعظم النعم التي تستحق الشكر والعرفان للخالق جل في علاه، ولو أن كل مخلوق بذل كل جهده في شكر أقل نعمةٍ من نعم الله وساندته مع ذلك جميع المخلوقات الأخرى لما وفّى حق تلك النعمة.

ولا يمكن لإله بديع في الصنع أن يخلق الخلق ويتركه مهملاً، بل لا بد من أن يضع له قوانينَ وتشريعات تحكمه وتؤطره وإن المنوط بحمل تلك الرسالة الخالدة هو الإنسان.

وحينما خلق الله الإنسان وأوجده في هذه الحياة، اختار له أناسًا لهم من الذكاء والقدرات والمؤهلات والأخلاق ما يجعلهم قادرين على تقديم الرسالة الملكية على أكمل وجه، وهؤلاء الناس اصطُلح على إدراج تسميتهم تحت مظلة مسمى الأنبياء والرسل.

وليس من السهل أن تحمل الرسالة العظيمة وتقدمها للناس على طبق من ذهب على مختلف أجناسهم وأعراقهم وطرق تفكيرهم، وفي مقال «رسائل النور أنموذج متكامل لتقديم الإسلام إلى الإنسان المعاصر»، للكاتب إحسان قاسم الصالحي، والمنشور في مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد (٢٠)، ما يسد حاجة طالب العلم لمعرفة المزيد عن ماهية الحياة والمصير.

فقد أشار الكاتب في مقدمة مقاله إلى أنَّ الأزمة التي يتخبط فيها الإنسان المعاصر هي أزمةٌ إيمانيةٌ أخلاقيةٌ من الدرجة الأولى؛ وذلك كون هذا الإنسان لا يجد أجوبةً لكثير من الأسئلة التي تدور في دماغه حول معنى الحياة والمصير، وأتفق تمامًا مع الكاتب فيما ذكره إذ أن كثيرًا من الناس اليوم يفتقرون إلى أجوبة كثيرة لأسئلة عديدة مما يؤدي بهم الحال في كثير من الأوقات إلى الغرق في الأوحال والمستنقعات.

ولا يوجد منقذٌ للمرء بعد الغرق، إلا أن يستكشف بنفسه ويتبحث، فبالبحث تحصل المعرفة وتتأتى الدراية، وإن أهم نقطة رئيسة عند البحث عن الجواب أن تعرف أن المصدر الذي يتأتى منه الجواب هو مصدرٌ موثوقٌ تمامًا أو على الأقل يبعث الطمأنينة في قلبك ويرتاح إليه صدرك وتسكن معه بلابل نفسك.

ويسلط الكاتب الضوء على رسائل النور لمؤلفها الأستاذ النورسي، ويرى أن تلك الرسائل هي رسائل محكمةٌ وذات قيمة عالية؛ إذ إنها تبصر الإنسان بما لم يبصر، وتجعله يمتطي ركب المتفكرين الناظرين المتأملين والمتبحثين للوصول إلى ما غُمي من الحقائق وما جُهل من المعارف.

ويسوق الكاتب ما ذكره المفكر النصراني بول تليخ في تحليله الفكر العلمي التقني والعقل الحديث اللذين تميزت بهما الحداثة، حيث يقول تليخ إن العقل الأفقي الفاقد للاتجاه العمودي نحو السماء يتميز بتعاطيه السببية في كل دقيق وجليل دون أدنى بحث أو تحليل، وأتفق مع ما قاله تليخ في تصوره إذ إن الإنسان الحديث -إلا من ندر- يفتقد إلى رفع يديه إلى السماء ليدعو ربه عند أي معضلة تعترضه في حياته، فهو اتجه إلى البحث أفقيا حوله ولم يتفكر يومًا في أن الجواب لكل ما يحيره من الممكن أن يكون في اتجاهه اتجاهًا عموديًا، وكذلك فإنه من المؤسف أن كثيرًا من الناس أصبحوا ينجروفون وراء نظريات وأوهام يسطرها البعض فيؤمنون هم بها دون أدنى تقصٍّ لمنبعها وأصلها وفصلها ومدى صحتها.

ويرى النفساني الشهير اليهودي فكتور فرانكل في كتابه «الإنسان ومعضلة الحياة» أن أكثر سؤال يتردد على الأذهان اليوم يتمحور في معنى الوجود وسبب وجوده، ومن وجهة نظري أن هذه أزمةٌ عظيمةٌ لا تورث إلا ضعفًا في العقيدة وتهاونًا في الوصول إلى الحقائق؛ إذ من الصعب أن تجد جوابًا لسبب الوجود ومعنى الحياة إذا وضعت السؤال في رأسك ولم تجتهد في البحث عن الإجابة فحبائل الشيطان كثيرة ومتاهاته ليس من السهل تجاوزها، إذ إنها تحتاج إلى جهاد كبير، فالشيطان يرمي شباكه إلى عقلك وربما كان عقلك قاصرًا فتكون صيدًا سهلًا وفريسةً سهلة المنال.

وانتقل الكاتب بعدها إلى الحديث عن دور الإسلام والمسلمين كمنقذ للبشرية وماذا يمكن أن يقدموا للعالم أجمع من أجل حل لغز الحياة ومعنى الوجود؟!

وترك الكاتب الإجابة للدكتور كولن كولتر -أستاذ في جامعة مانشستر بانجلترا- اهتدى للإسلام، حيث يقول كولن أن حاجة غير المسلمين إلى التعريف بالله أكثر من حاجتهم إلى التعريف بالأنظمة الإسلامية، وهذا ما لا نختلف فيه مع كولن إذ أن الإنسان إذا عرف الله بعد طول تفكر وتبحث سهل عليه استقبال الأنظمة التي يشرعها الله له، أما إن جهل هوية المشرع تمادى في الاستخفاف بتطبيق ما شَرع وبقدر ما يكون للمشرع من وزنٍ في قلبك يكن تطبيق تشريعه سهلاً سلسًا.

فالحاجة إلى التعرف على الخالق عن قرب هو السبيل الأنجح للوصول إلى سر الحياة؛ لذلك تجد الكثير من الناس يتعمقون في التبحث عن علوم الفقه والشريعة، لكنهم لا يجدون تطبيق ذلك في الواقع العملي، والجواب أنهم لو تفكروا في خالق النظام لسهل عليهم تقصي ما يحب وما يكره وما يأمر به وما ينهى عنه.

واختتم الكاتب حديثه عن المؤهلات والمميزات التي تؤهل وتميز رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي لتكون أنموذجًا لتقديم الإسلام إلى البشرية جمعًا ومن ضمن تلك المؤهلات والمزايا ما يلي:

١- رسائل النور هي خطابٌ إلى كل إنسان سواء كان مسلمًا أو غير مسلم؛ إذ إنها لا تُقصر الخطاب إلى غير المسلم فقط فهناك من المسلمين من هم بحاجة إلى ترسيخ عقائدهم فهي خطابٌ عامٌ يشمل الجميع.

٢- رسائل النور تدعو إلى قراءة الكون وهو كتاب الله المفتوح؛ وبالتأمل في الكون الشاسع يتأتى لك ما لم يتأتّ لغيرك وتتبصر بما لم تبصره من قبل.

٣- رسائل النور تهدف إلى امتزاج العقل والقلب معًا؛ فهي لا تخاطب العقل بحد ذاته بل تخاطب العقل والقلب معًا حتى يذوب القلب في حب موجد الوجود وتترسخ معه عظمة الصانع فينجرف القلب في الطاعة حبًا ورغبةً لا إكراهًا ورهبةً.

٤- رسائل النور تنقلك من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة؛ فهي تبث باعث الأمل في قلبك فتجعل العسير يسيرًا وتربطك بحبل التفاؤل والثقة.

٥- رسائل النور يغلب عليها طابع اللين والإقناع؛ فالرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أوجه رسالةً إلى الشباب في كل مكان وزمان؛ ألا وهي: «لا تدع همتك تفتر ولو للحظة واحدة عن البحث والتقصي والمثابرة والجد والاجتهاد والسعي نحو المعرفة وكشف كل ما غمي عليك، ولا تقبل شيئًا إلا بالدليل ولا ترد شيئًا إلا بالدليل».

humaid096@gmail.com

جدلية: هل العقل هو أساس القيم الأخلاقية؟

• أم كلثوم الفارسية

يقول الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه «العقل الأخلاقي العربي» «من المسائل الأساسية التي يهتم بها «مبحث الأخلاق» في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر، ما يعبر عنه بـ«المشكلة الأخلاقية»، وتتلخص في السؤال التالي: على أي أساس تقوم الأخلاق؟ علام نستند عندما نحكم على هذا السلوك أو ذاك بأنه خير أو شر، حسن أم قبيح؟ هل على مجرد كونه يحقق لنا لذة أو منفعة أو يسبب لنا ألما أو مضرة؟ هل لأنه يتفق أو لا يتفق مع ما تجري به العادة والعرف الاجتماعي؟ هل لأن الدين يأمر به أو ينهى عنه؟ هل لأن العقل يستحسنه أو يوجبه أو يستشنعه أو يمنعه، هل لأن «الضمير» يقبله أو يرفضه، يرتاح إليه أو ينفر منه؟ ومن القضايا المرتبطة بـ«المسألة الأخلاقية» مسألة «نسبية الأخلاق»؛ ذلك أن من المشاهد عبر التاريخ أن السلوك الواحد قد يعتبر حسنا في زمن ومكان، بينما يعتبر بالعكس من ذلك قبيحا في زمان آخر أو مكان آخر.

هذا إضافة إلى أن الفضائل التي تعتبر إنسانية تعلو على الزمان والمكان قد يختلف مضمونها قليلا أو كثيرا من مكان أو زمان إلى آخر، أو أنها قد تتبادل المواقع مع أضدادها في ظروف خاصة. أليست هناك حالات يكون فيها «الكذب» مباحا أو مطلوبا أو ربما واجبا؟

كل هذه «العناصر»: «اللذة، العرف، الدين، العقل، الضمير...» تصلح بهذه الدرجة أو تلك، لأنها تعتبر أساسا ومحددا للأخلاق والقيم. وقد عرف تاريخ الفكر الأخلاقي (مدارس) تعتمد هذه الأسس: مدرسة سيكولوجية تفسر السلوك الأخلاقي بالعوامل النفسية وفي مقدمتها اللذة والألم، ومدارس اجتماعية ترى أن السلوك الأخلاقي هو عبارة عن عادات اجتماعية، عن أعراف وتقاليد... إلخ. وهناك بالمقابل من يرى أن أصل الأخلاق هو الدين، وآخرون يرون أن «العقل» هو الذي يقف وراء الحكم الأخلاقي، بينما يقرر فريق آخر أن «الضمير» هو منبع الأخلاق».

ويوضح مولاي أحمد مولاي عبد الكريم أستاذ متعاون في قسم الفلسفة بكلّية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة نواكشوط بموريتانيا، في مقاله «أخلاق التعقّل في فلسفة الفارابي وراهنيتها في الفكر الفلسفي العربي المعاصر»، الذي سنتناوله بالتحليل، أن هناك تضايفًا وترابطًا بين الأخلاق والعقل بغض النظر عن سؤال الأسبقية في العلاقة بينهما. وفي هذا السياق يتنزل مفهوم التعقل عند الفارابي بوصفه مستوى تجلي العلاقة بين العقل النظري والعقل العملي بما يظهر البعد العملي والأخلاقي للعقل؛ فالفارابي يرى أن التعقل أهمّ شؤون الإنسان الحياتية، فالإنسان المتعقل هو الذي يعتمد العقل في حياته أداة لكل تفكير عملي؛ وعلى هذا يمكن القول قبل أن توجد الفضائل الأخلاقية لابد أن تكون معقولة أولا.

ولهذا يرى الفارابي أن الإنسان «يحتاج في كل ما يعانيه إلى تعقل ما، إما يسيرا وإما كثيرا»، ويتأرجح القول من دون حسم منذ القدم حول علاقة العقل بالأخلاق، فمسألة عد العقل المعيار الأساسي للأخلاق ليست مطلقة، فعلى الرغم من أن العقل له تأثير فاعل وتأسيسي للأخلاق واختيار السلوك الأخلاقي؛ بما يؤكد أن الأخلاق مبنية على معايير عقلانية، فإن للأخلاق أساسا دينيا هو المعتبر في الغالب لأن الأساس العقلي وحده لا يكفي لقيام الأخلاق إلا أنه ومما لا شك فيه أيضا أن العقل يساهم في بناء الأخلاق إلى جانب الدين والمعايير الأخرى. وتقويم مدى مشاركة العقل في بناء الأخلاق في الثقافة العربية يبقى مجال اختلاف بين الأنساق الفكرية، فالجابري يرى أن الأساس الذي يقوم عليه الحكم الأخلاقي في الثقافة العربية الإسلامية هو العقل، وأن الاعتراف بالعقل كأساس للأخلاق في الثقافة العربية الإسلامية قائم بما يشبه الإجماع، بينما يرد طه عبدالرحمن العقلانية إلى الأخلاقية لأن العقل من وجهة نظره فعل مثل الخلق قائم بما يشبه الإجماع.

...إنَّ اتفاق الفلاسفة والمفكرين على أن القيم الأخلاقية ميزة إنسانية، قابله تعارض شديد حول طبيعة وأساس القيم الأخلاقية وتعددت المواقف والآراء حولها، حيث هناك من أرجع أساس الأخلاق إلى العقل ، وهناك من يرى أن أساسها هو اللذة والمنفعة، في حين يذهب طرف آخر للقول بأن المجتمع هو المحدد لقيمنا الأخلاقية، وعلى العكس من ذلك يذهب موقف آخر إلى أن الدين هو أساس الأخلاق.

وفي ظل هذا الاختلاف نطرح التساؤل التالي: هل يمكن القول إن العقل هو أساس قيمنا الأخلاقية؟ بعبارة أخرى: كيف يستطيع الإنسان الحكم على فعله الأخلاقي بالخير أو الشر؟

فعلى الرغم من تبني كل موقف رأيه الخاص، إلا أن القيم الأخلاقية لا يمكن تحديدها بأحد هذه الآراء دون غيرها؛ فالفعل الأخلاقي يقوم على الدين الذي يقوم العقل بتأويله وفق ما يحقق غايات في نفسية الإنسان ويقوم بتطبيق قيمه داخل المجتمع الذي يعيش فيه، ونقول إن أساس الأخلاق يتم وفق تكامل الآراء السابقة.

ويُمكن القول في الختام إنَّ الأخلاق لا يمكن التعامل معها بشكل بسيط، بل بتدخل جميع الأسس: العقل، واستجابتنا لقوانين الطبيعة والمجتمع الذي لا يستطيع أي فرد العيش بمعزل عنه، وما جاء في الشرع؛ فكل هذه الأمور تلعب دورا بارزا في تحديد قيمنا الأخلاقية. فلا يمكن أن نبني الأخلاق على مبدأ واحد حتى لو كان العقل أو الدين نظرا إلى أن القيم الأخلاقية نسبية متغيرة عبر الزمان والمكان وهي تابعة لشروط مختلفة تتحكم فيها؛ فالمجتمع الإسلامي يتمسك بالدين أولا وبالعقل ثانيا كمبدأين أساسيين في إقامة الأخلاق دون إهمال باقي المبادئ الأخرى.

غرف الصدى ومنصات التواصل الاجتماعي

• ناصر الحارثي

يستعرضُ الباحث ماتيو سينيلي المتخصص في تأثير منصات التواصل الاجتماعي، في بحثه حول مدى انتشار المعلومات عبر منصات التواصل الاجتماعي وتأثير غرف الصدى، عن ظاهرة غرفة الصدى أو فقاعات الفلترة المستخدمة في مواقع التواصل الاجتماعي، ولقد نشرت الدراسة في الربع الأول من عام ٢٠٢١ في مجلة "Proceedings of the National Academy of Sciences (PNAS)" ويسعى الباحث مع فريق عمله إلى معرفة الاختلافات الرئيسية بين منصات التواصل الاجتماعي من خلال دراسة مدى تشكل ظاهرة غرف الصدى في كل منصة من منصات التواصل الاجتماعي وأثرها على انتشار المعلومات. ويعتمد الباحث في دراسته على قياس مدى التطابق بين المتابعين في الأفكار والتصورات، ومقدار التحيز في نشر المعلومات بين الأقران عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

لقد استطاعت وسائل التواصل الاجتماعي خلق آليات جديدة للأفراد من أجل الوصول إلى المعلومات، وهذا التأثير في الوصول إلى مصادر المعلومة يلقي بظلاله بشكل مباشر على قرارات الأفراد وسلوكياتهم، إذ أن الناس أكثر ميلا لتصديق الأخبار الزائفة وتداولها بين أقرانهم من الأخبار الصحيحة، وربما يرتبط هذا الاستعداد بطبيعة الخبر الزائف ومدى استعداد الناس لتصديقه، ولكن الباحث يرى أيضا أن هناك عوامل أخرى تعزز من نشر الأخبار الزائفة من خلال اعتماد هذه المنصات على جعل انتباه المتابع في المنصة مؤطرا بواسطة خوارزميات التغذية التي تقترح محتويات متشابهة مع اهتمام المستخدم في المنصة، إذ يميل المستخدمون عادة إلى تفضيل المعلومات التي تتناسب مع معتقداتهم والانضمام إلى مجموعات تتكون بشكل تلقائي مع أفكارهم، وهذا ما يسميه الباحثون غرف الصدى. ويمكن تعريف غرف الصدى على أنها نطاق يتم تعزيز الآراء والاعتقادات والتوجهات السياسية فيه من خلال التفاعلات المتكررة مع الحسابات أو المصادر التي لها نفس الميول. ويتم تشكل غرف الصدى من خلال خوارزميات تقوم بها مواقع التواصل الاجتماعي من أجل التعرض الانتقائي والتحيز التأكيدي، وعلى الرغم من وجود هذه الظاهرة سابقا في المنتديات إلا أنها صارت أسهل عبر منصات التواصل الاجتماعي مع إدخال خوارزميات تدعم الخيارات التفضيلية، حيث تم تأسيس موقع ريدت «Reddit"، وهو واحد من أكثر مواقع الويب زيارة في العالم وكان يهدف لجمع النقاشات حول مجموعة واسعة بهدف تحقيق حرية التعبير ولكن مع الاستقطاب والخوارزميات المستخدمة انخفض محتوى الخطاب المعتدل وازداد خطاب الكراهية.

وسعى الباحث إلى دراسة مليون نَصٍّ أو قطعة من المحتوى الرقمي المنشور في أربع منصات للتواصل الاجتماعي؛ هي: تويتر، وفيسبوك، وريدت، وجاب، وذلك من خلال تحليل تأثير التقنيات المستخدمة في الربط بين المتابعين على أفكارهم في عدد من المواضيع المثيرة للجدل في الولايات المتحدة الأمريكية مثل الإجهاض، والتلقيح، والتحكم بالسلاح، عند الحديث عن آلية قياس الميول لدى المستخدم فإن الدراسة اعتمدت على تحليل روابط المنافذ الإخبارية لدى المستخدم في منصة تويتر؛ وذلك لقياس درجة الميول السياسية في المحتوى من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، وأما في الفيسبوك فعن مدى الحصول على إعجابات في القضايا المثيرة للجدل، وفي ريدت عن طريق المجموعات التي ينظم إليها المستخدم، وبالتالي يتم قياس درجة الميول في كل منصة بمدى ميل المستخدم في كل منصة إلى الآراء المتطرفة ومدى تعرضه للآراء المختلفة. ولقد أظهرت الدراسة ميل الناس للأفكار المتطرفة في الفيسبوك وتويتر أكثر من المناصات الأخرى.

وتعد منصات التواصل الاجتماعي التي تركز على الخوارزميات التفضيلية من أكثر المنصات التي تساعد على تشكل غرف الصدى من خلال توظيف تقنيات تحدد نتائج البحث أو العرض التي تتناسب مع توجهات المستخدم، لذلك عندما يقوم اثنان من الباحثين من نفس المنطقة باستخدام محرك البحث حول قضية اللقاح يجد كل واحد منهما نتائج مختلفة تبعا لطبيعة اهتمامه، وإن كان هذا الأمر يخلق إشكالية، إلا أنه ومع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي والخوارزميات المختصة بالتفضيلات صارت المشكلة أكبر، وتصل إلى حصول كل واحد منهما على نتائج متعارضة. هذه الخصائص وإن كانت تصنع جاذبية أكبر للمستخدم باتجاه المنصة من خلال اختيار التفضيلات التي تتناسب مع ميول المستخدم، إلا أنها تعمق الانحياز التأكيدي؛ فالفرد عادة يتبنى مجموعة من الأفكار والمعتقدات في حياته اليومية إلا أنه معرض بشكل مباشر وغير مباشر للاستماع إلى أفكار وتوجهات أخرى، ومن ثم ظهر التلفاز الذي يسمح لك باختيار قنوات تفضلها ولكنها لا تعرض دائما المحتوى الذي تريده، ومن ثم ظهرت الانترنت ومحركات البحث التي سمحت للشخص بالبحث في المواضيع التي يفضلها، ولكنها في الآن ذاته تطرح المواضيع من مواقع ذات وجهات نظر مختلفة. وعندما جاءت منصات التواصل الاجتماعي أزاحت عن المستخدم هذه الحساسية تجاه الأفكار المزعجة من خلال خلق مجتمع افتراضي تلقائي يشارك المستخدم في الاهتمامات، وتكمن خطورة هذا الانحياز التأكيدي التلقائي في أن أصحاب الفكرة الواحدة يجدون مجتمعا يتطابق مع أفكارهم؛ مما يؤدي لتطرفهم في الفكرة ذاتها وذلك لأنه محاصر مع مجموعة من المؤيدين للفكرة ذاتها، وكأن المستخدم يشارك في حفلات السخط الجماعي تجاه الآخر المختلف. وفي الآن ذاته يصاب بحساسية مفرطة تجاه الأفكار الأخرى تصل إلى العدائية ويجد صعوبة في تقبل الآخر، ودائما ما يفضل اللجوء إلى المنصات الاجتماعية لأنه يشارك فيها أفكاره مع من يتفق معه إلى حد التطابق بل والمساندة في الحفاظ على الأفكار والمعتقدات.

لقد حاول الكاتب توظيف بيانات المستخدمين لتحليل تأثير غرف التواصل على المستخدمين وهي قضية في غاية الأهمية، إذ إنَّ منصات التواصل الاجتماعي تخلق أنماطا اجتماعية مختلفة؛ مما يدفع منظري علم الاجتماع إلى تطوير أدواتهم البحثية والتحليلية، كما نجد تزايد ظاهرة الحركات اليمينية وتنامي القبيلة في مجتمع ما بعد الحداثة، وأصبحت السرديات الكبيرة كالشيوعية والاشتراكية والرأسمالية وحتى الأديان قليلة التأثير، كما أن هذه الأنماط من التوجهات المجتمعية التي تفرزها منصات التواصل الاجتماعي تتشكل بطريقة بنيوية باستخدام الأداة المكونة لها وهي اللوغارتيم ولكن نتائج هذا يصعب التنبؤ بها. أعتقد أن هناك الكثير من العوامل التي يجب إدخالها في هذه الدراسة للتمكن من تحليل ظاهرة غرف الصدى بشكل موسع؛ حيث إن هذه الغرف صارت تؤثر بشكل مباشر على توجهات الشعوب وهذا ما ظهر بشكل واضح عندما اجتاحت جائحة كورونا كوفيد ١٩ العالم وظهرت معها الكثير من نظريات المؤامرة مما جعل الكثير من الباحثين في المجال العلمي والطبي يرمون بأصابع الاتهام لمنصات التواصل الاجتماعي، في حين قامت مواقع التواصل الاجتماعي بحظر حسابات عدد من الأشخاص وبالتالي ينتقل صخب القضايا الاجتماعية رسميا من الواقع إلى العالم الافتراضي.

m056058@gmail.com

حرب كورونا على الاقتصاد

• رية الخزيرية

لقد امتنَّ الله علينا بنعم جسيمة وآلاءٍ عظيمة، ومن أعظم النعم التي امتن الله بها علينا هي نعمة النفط والتنوع في الموارد الاقتصادية، وتدوم النعم بشكرها وتزول بكفرها وكما قال جل في علاه: «لئن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ».

وقد تأتي العقبات لتحول بين الإنسان وطموحاته ورغباته وهذه العقبات إما أن تكون ابتلاءً أو بلاءً ولا يستطيع الكائن البشري أن يجزم بأن ذلك بلاء أو ذاك ابتلاء، فالله هو المصرف لذلك وله الأمر من قبل ومن بعد، وفي كل مصابٍ وخلف كل عقبةٍ حكمةٌ إلهيةٌ قد لا يُدرك كنهها حاليًا ولكن ربما يتأتى لك فهمها فيما بعد.

وفي مقال دراسة تحليلية وفق نظرة شاملة لأهم آثار جائحة كورونا «كوفيد ١٩» على الاقتصاد العالمي -الأزمة الاقتصادية العالمية ٢٠٢٠- للكاتبين د.غبولي أحمد ود.تواتية الطاهر، والمنشور في مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، ما يوضح آثار جائحة كورونا على الاقتصاد العالمي.

وقد أشارَ الكاتبان في مقدمة المقال إلى التعريف بفيروس كورونا، والذي يعد من سلالة الفيروسات التي تصيب الجهاز التنفسي؛ فتتراوح أعراض المصاب بين نزلات برد بسيطة إلى موت مزهق للأرواح، وقد تم اكتشاف أولى الحالات المصابة في مدينة ووهان الصينية في أواخر ديسمبر الماضي ونتيجة للانتشار المتسارع للفيروس فقد صُنف الوباء على أنه جائحة، فقد كان الوباء محصورًا في الصين وبعض الدول الآسيوية ثم انتقل بعدها ليكتسح أوروبا وأمريكا. ويعزي الكاتبان السبب الرئيس في انتشار هذا الوباء إلى حركة التنقل للأشخاص بين البلدان وهذا ملحوظٌ لا يخفى على ذي لب، إذ إنَّ السفر بين البلدان والتنقل من هنا وهناك كان له دورٌ كبيرٌ وفاعلٌ في انتشار الفيروس ويعد الوسط الهوائي هو الناقل الأهم له ناهيك عن العوامل الأخرى كالاتصال الجسدي والمصافحة وغيرها مما يتسبب في اتساع رقعة الإصابة بالفيروس وزيادة فرص انتشاره.

وكان من الضروري بمكان أن تتخذ كل الدول بل كل المؤسسات والأفراد احتياطاتها وتبذل قصارى جهدها من أجل سلامة الجميع؛ فكان منع الناقل الرئيس للمرض هدفًا تسعى نحو تحقيقه جميع الدول واتبعوا بذلك طرقا وسياسات شتى ومن بينها العزل والحظر العام والإغلاق الكلي والعمل في المؤسسات بشكل جزئي.

وقد أفاد الكاتبان بأن الإغلاق الكلي والجزئي والعزل والحظر العام الذي انتهجته معظم الدول للحد من تفشي جائحة كورونا كان له بالغ الأثر على المستوى النفسي والاجتماعي والاقتصادي، وهذا مما لا شك فيه، إذ إن الجائحة تسببت في إزهاق الملايين من الأرواح فتعطلت بذلك الكثير من المصالح كما قيدت بعضهم أغلال الوساوس والمخاوف فقلت إنتاجيته، علاوةً على أنها تسببت في ركود الأسواق العالمية وتعطل الكثير من الأعمال وزيادة الإنفاق خاصةً على مستوى القطاعات الصحية.

ويُشير الكاتبان إلى أنَّ الاقتصاد العالمي انكمش بواقع ٣٪ في العام المنصرم ٢٠٢٠م مما شكل على الدول عبئًا كبيرًا يصعُب من خلاله المضي على نهج الحياة السابقة؛ وكذلك فالوضع الراهن فرض على الدول إعادة النظر في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ تمت بصلةٍ إلى الاقتصاد.

ويرى الكاتبان أنَّ هذا الوباء ليس أول وباء أطل على الدول وأرهقها ولكن كورونا من الممكن أن يُصنف على أنه أكثر الأوبئة التي اكتسحت العالم وضربت اقتصاده وجعلته على شفا جرفٍ هارٍ، وهذا مما نتفق فيه مع الكاتبين؛ إذ أن العالم أُصيبَ بوباء أنفلونزا الطيور وأنفلونزا الخنازير وسارس وإيبولا وغيرها، ولكن الانتشار الأعظم في العالم والنصيب الأكبر كان لفيروس كورونا؛ حيث اكتسح رقعةً شاسعةً من الأرض وأصاب الكثير من الناس ودمر الكثير من البلدان وربما كانت الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها الوباء في العيش معنا لها الدور الأعظم في تدمير اقتصاد كثيرٍ من الدول.

وانتقل الكاتبان إلى الحديث عن الآثار التي تركها كورونا على السياحة والنقل والتبادل التجاري والقطاعات الخاصة بالأخص، وهذا مما نلاحظه متمثلاً في ركود الأسواق وقلة البضائع الواردة والصادرة ومنع السفر وقلة السواح مما يعني قلة الأموال التي تجنيها الدول من ثورة السياحة.

واختتم الكاتبان مقالهما بالحديث عن آثار كورونا على الصناعة وعلى أسواق العمل والتشغيل وهذا مما نعايشه في كثيرٍ من البلدان؛ حيث قل الطلب وكثر العمال المسرحون من أعمالهم نتيجةً قلة مصادر الدخل اللازمة لتغطية أجورهم.

وإلى جانب ما خلفته جائحة كورونا من آثار سلبية في مختلف المجالات، وأخص بالذكر المجال الاقتصادي كونه محور حديث المقال، إلا أنَّ الدروس المستفادة من وراء هذا الوباء كانت كثيرةً لا تُعد ولا تُحصى.

فكأن هذا الفيروس أعلن للناس الحرب وكبدها خسائر فادحة ليتعلم بعدها كل فردٍ وكل مؤسسة وكل دولة كيف تحافظ على اقتصادها، وكيف تديره، وما هي التدابير التي يجب عليها أن تضعها في الحسبان في مثل هذه الظروف الاستثنائية.

كما علَّمتنا الجائحة أن نكون يدًا واحدةً في مواجهة الحلوة والمرة، ومن أمثلة التعاون ما ذكره الكاتبان من أن صندوق النقد الدولي قدم مساعدات وتسهيلات مالية تقدر بمئات المليارات للكثير من الدول النامية للخروج من مستنقع الركود الاقتصادي الذي خلفه كورونا ولا يزال يخلفه.

ومع كل نازلةٍ يصاب بها الناس، فإن اللجوء إلى رب السماوات والأرض ومالكهما مما يتوجب على الناس القيام به فيتضرعوا لله ليذهب عنهم البأس ويشفيهم ويعافيهم.

نسأل الله العلي القدير أن يسلم بلادنا والعالم أجمع من شر الأوبئة والأسقام، ولا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس، فبشرى للمجاهدين الذين يجاهدون باتباع الإرشادات الصحية لوقاية أنفسهم وأهليهم من شر هذا الوباء المستفحل، وطوبى لمن بذل قصارى جهده صابرًا محتسبًا لأجل حماية نفسه وأبناء وطنه ومجتمعه من هذا الداء العضال الذي بقي العالم أجمع عاجزًا أمامه.

rayaalkhuzairi@gmail.com

كيف يحقق الغموض اللغوي مقاصد أفضل في المفاوضات التجارية؟

• نادية اللمكية

يطرح الباحث الصيني فانيو مو (Fanyu Mao) في مقالته «تفسير الغموض اللغوي في المفاوضات التجاريّة وفق نظريّة الصلة، والمنشورة في عدد الربع الأول (مارس ٢٠٢٠) من مجلة البحوث اللغوية الدوليّة "International Linguistics Research" فكرة استخدام الغموض في اللغة أثناء المفاوضات التجاريّة في بيئة الأعمال، ويفترض أنّ الغموض في هذه الحالة لا يكون هدفه إخفاء معلوماتٍ ما، بلى على العكس من ذلك نقل المعلومات بصورةٍ أكثر اتساعًا وبأقل قدرٍ ممكن من الجهد في المعالجة، وهي استراتيجيّة لغويّة فسرتها نظريّة الصلة في التواصل والإدراك.

ما نظريّة الصلة؟

وتقدّم نظرية الصلة للأنثروبولوجي الفرنسي دان سبيربر (Dan Sperber) واللغوية البريطانية ديردر ويلسون (Deirdre Wilson) جملةً من الأفكار تقود إلى مبدأ أساس هو أنّ «العمليات الإدراكيّة البشريّة موجّهة لتحقيق أكبر قدرٍ ممكن من التأثير المعرفي بأقل جهدٍ ممكنٍ من المعالجة»، وتنطلق في رؤيتها جامعةً بين بنية اللغة واشتغال الذهن مستفيدة من مجالين هما: فلسفة اللغة، خصوصًا النظرية الحواريّة لغرايس (Grice) التي وضع فيها أسس الأنموذج الاستدلالي بديلا لأنموذج الشفرة. ومجال علم النفس المعرفي، خصوصًا نظرية فودور (Jerry Fodor)، التي فسرت اشتغال الذهن البشري، وعمليات معالجة المعلومات فيه ومراحلها.

وكيف تفسر نظريّة الصلة الغموض في اللغة؟

تتعامل نظريّة الصلة مع التواصل اللغوي على أنّه عمليّة «فهم متبادل»، وتستند إلى مبدأين أساسيين في ذلك هما المبدأ المعرفي: الذي يفترض أنّ العمليات الإدراكيّة البشريّة موجهةٌ دائمًا نحو اختيار الافتراض الأكثر صلةً الذي يكلّف أقل قدرٍ ممكن من الجهد في الفهم. ومبدأ الصلة المثلى: الذي يفترض أن نجاح الفهم مرهونٌ ببذل جهدٍ ذهني قليل مع ربح فائدة كبيرة، وأنّ الفعل التواصلي الذي يحقق ذلك يكون قد حقق الصلة المثلى.

وعلى هذا الأساس، فإنّ المتحدث يجب أن يمنح المستمع دلائل وتلميحات/تلويحات تقلل الجهد المبذول في فهم الخطاب من جانب، وتجعله يصل إلى الفهم المراد (الصلة المثلى) من جانبٍ آخر، والوصول إلى الفهم لا يعني بالضرورة الوصول إلى الحقيقة الحرفيّة للمعنى الذي قصده المتكلم، بل إلى الاستنتاجات المرتبطة بهذا المعنى، إذ بحسب نظريّة الصلة المستمع يصل في الفهم إلى تأويل فكرة/ أفكار المتكلم، وعلى المتكلم وضع تأثيراتٍ سياقيّة كافية ليوجّه فهم المستمع نحو مجموعة الأفكار التي يريدها. إنّ عملية تواصل المتكلم تعني أن يجعل من الظاهر قصده جعل افتراض ما ظاهرًا للمستمع، وبمعنى آخر أن يؤمّن بيئةً إدراكيّةً متبادلة بينه وبين المستمع، أما اختيار الافتراض الأقوى أو الذي أظهره المتكلّم عن قصد من بين الافتراضات التي من الممكن أن يقدّمها ملفوظٌ ما فهي مهمّة المستمع وتتم عبر عمليّة ذهنيّة مميزة عند البشر هي «الصلة»؛ فالبشر يوجهون انتباههم إلى ما يبدو أكثر صلةً لهم.

وفي الغموض اللغوي، وهو أحد أشكال الخطاب التأويلي بحسب نظرية الصلة، فإنّ السياق المعرفي الذي يستخدمه طرفان متواصلان هو جزء من البيئة المعرفيّة الإدراكيّة المشتركة بينهما، والسياق هنا يسمح بتقاطع البيئة المعرفيّة الإدراكيّة للمتكلم والمستمع، وعند معالجة المستمع لكل معلومة جديدة فهو يحتاج لجمع المعلومة وربطها مع الموسوعة المعرفيّة العامّة لديه، يذكر الكاتب هنا مثالا واضحًا على ذلك:

ج: هل ستقود سيارة مرسيدس؟

ب: لن أقود أي سيارةٍ باهظة الثمن!

إن إجابة المتكلم (ب) قدمت بيئة معرفيّة استنتاجيّة مكّنت المستمع (ج) من الحصول على معلوماتٍ سياقيّة وربطها بالمعلومات الموسوعيّة العامة لديه ليقوم باستنتاجاتٍ متوالية هي: لن يقود (ب) سيارةً باهظة الثمن، مرسيدس هي سيارةٌ باهظة الثمن، إذن (ب) لن يقود سيارة مرسيدس.

كيف يمكن أن تؤدي اللغة الغامضة دورها في المفاوضات التجاريّة ببيئة الأعمال؟

يناقش الكاتب عبر مجموعةٍ من الأمثلة كيف يمكن أن يكون الغموض (عدم الوضوح) في المحاورات والمفاوضات المتعلقة ببيئة الأعمال وسيلةً للوصول إلى تلويحاتٍ أوسع في الفهم؛ فالمتفاوض لا يهدف إلى منح الطرف الآخر معنىً مباشرًا متفقًا مع المعلومات الموسوعيّة العامة لدى المستمع، بل على العكس من ذلك يحاول إجراء تعديلٍ في البيئة الإدراكيّة للمستمع بصورةٍ تجعل مجموعةً من افتراضاتٍ أخرى ظاهرة أمامه، ويؤدي ظهورها إلى عدم التطابق بينها والمعنى الحرفي للملفوظ تطابقًا كليًا؛ ما يدفعه إلى التأويل الأوسع محققًا بذلك أكبر قدرٍ من الفهم بأقل قدرٍ من الجهد، وهو ما يهدف إليه المتفاوض كما في الأمثلة التي عرضها كاتب المقال:

مثال (١): من المحتمل أن نشتري هذا المنتج من مكانٍ آخر؛ لأنّ منافسيك في السوق يقدمون أسعارًا أقل.

مثال (٢): يمكن لمنتجاتنا أن تلبّي استخداماتٍ زراعيّة واسعة، وقد تميزنا منذ زمنٍ طويل بسمعةٍ ممتازة مع عملائنا.

مثال (٣): كما ذكرنا سابقًا، نبيع منتجاتنا بشكل جيّد في السوق العالميّة لجودتها العاليّة وأسعارها المعقولة.

اللفظ «من المحتمل» في المثال الأول أنْ يُشير إلى عدم اليقين في نبرة المتفاوض، مما يشعر البائع أنّ هناك متاجر/شركات تبيع المنتج بذات الجودة وبسعرٍ أقل، وقد توصل البائع لهذه التأويلات بجهدٍ أقل مما لو تطلب الأمر شرحًا دقيقًا «معنى حرفي». وفي المثالين الثاني والثالث فإنّ الألفاظ «سمعة ممتازة» و«جودة عالية» و«أسعار معقولة» تنقل بدقة مقاصد المتفاوض، وفهمها لا يتطلب من المستمع جهدًا كبيرًا، إذ إنّ تحديد السعر أو تحديد طبيعة السمعة أو شرح الجودة يتطلب جهدًا أكبر في الفهم بفائدةٍ واستنتاجاتٍ قد تكون أقل أو مساوية للاستنتاجات السابقة. إنّ عدم الوضوح في النص -بحسب الكاتب- يساعد في تحقيق المرونة الذي يؤدي بدوره إلى الوصول لمستوىً أعمق من المعنى، كما أنّ الغموض يسمح للطرف المتفاوض بتحقيق تأثيراتٍ تواصليّة لا يمكن تحقيقها باللغة الحرفيّة عبر استخدام الدقة في الكلام، ومن تلك التأثيرات: إظهار اللطف في الحديث، وتحقيق الحماية الذاتيّة للمتفاوض، وتعزيز مرونة التعبير اللغوي ليشمل معانيَ أوسع في الفهم، وغيرها من التأثيرات.

إنّ اللغة الغامضة -بحسب الكاتب- شائعة الاستخدام في مفاوضات بيئة الأعمال في الثقافة الإنجليزيّة، وهي تحقق وظيفة تواصلٍ فريدة؛ فالبيئات المعرفيّة الإدراكيّة المختلفة للمتفاوضين، والاختلافات الثقافيّة بينهم تعزز ظهور اللغة الغامضة، لكنها في الوقت نفسه تسمح بتقديم معلوماتٍ أكثر اتساعًا. وإنّ إدراك المتفاوضين لذلك، أي لأهمية استخدام استراتيجيّة الغموض اللغوي في التفاوض بوعيٍ وفعاليّة، يسمح بتحقيق التواصل الناجح بينهم.

nkha008@gmail.com

اكتساب اللغة بين الطبيعة والتنشئة

• فيصل الحضرمي

تعدُّ عملية اكتساب اللغة، والدور الذي تلعبه كل من الفطرة والبيئة في هذا الإطار، إحدى أهم القضايا التي عني علماء اللسانيات وعلماء النفس بدراستها. فقد انقسم العلماء في أمر اكتساب اللغة بين مرجح لدور الفطرة ومقلل من شأن تأثير البيئة، وبين مرجح لدور الأخيرة ومقلل من شأن الأولى. ولإعطاء فكرة مبسطة عن الجدال الدائر حول هذه المسألة، نستعرض في قادم السطور بحثاً مقتضباً نشر مؤخرا في مجلة اللسانيات Linguistics تحت عنوان Nature and Nurture in Language Acquisition، وفيه يبسط الكاتب أبرز النظريات المتعلقة باكتساب اللغة، وموقف هذه النظريات من الطبيعة والتنشئة في علاقتهما باللغة.

يقدم الكاتب لبحثه بتعريف اللغة باعتبارها «مجموعة -متناهية أو لامتناهية- من الجمل المتناهية في الطول، والمكونة بدورها من مجموعة متناهية من العناصر». أو هي، وفق نعوم تشومسكي، مجموعة من الفونيمات (الوحدات الصوتية) محدودة العدد، والتي يمكنها، عبر وضعها في تسلسل محدود، تمثيل كل جملة من الجمل اللغوية. وتعتبر قدرة الأطفال على اكتساب اللغة في سن مبكرة أمراً مذهلاً إذا ما وضعنا في الحسبان التعقيد الهائل الذي تتسم به اللغة، من حيث كثرة قواعدها اللغوية وغنى مفرداتها وتنوع مخارج أصواتها. ويتضح ذلك جلياً فيما يلاقيه البالغون من صعوبات جمة حين يشرعون في تعلم لغة جديدة.

ويرى بعض العلماء أن الأطفال الرضع، مثلاً، مزودون ذهنياً بما يعينهم على استيعاب من الذي قام بالفعل ومن الذي أدي الفعل ضده في جملة من الجمل، وهو ما يدفع إلى الاعتقاد بأن هناك قدرات متأصلة (فطرية) في الأطفال، وأن هذه القدرات كامنة في الجينات. في المقابل، يذهب علماء آخرون إلى القول بأن اكتساب الطفل للغة يتأتى من احتكاكه بالبيئة المحيطة، وأن البيئة، لا الجينات، هي مصدر جميع المعلومات اللسانية اللازمة لإكساب الطفل ملكة اللغة. وفي المنتصف من هذين الاتجاهين، ثمة فريقٌ آخر يقول بأن الفطرة والبيئة كليهما يتشاطران مهمة تكوين اللغة عند الإنسان. وفي كل الأحوال فإن الآلية التي يتمكن بها الطفل من لملمة المقاطع الصوتية والكلمات من محيطه ليحصل على قواعد تؤسس للغة ما ما زالت غير مفهومة بالكامل.

وبحسب العالم جوردون ويلز، تمر عملية اكتساب اللغة بخمس مراحل، هي: مرحلة المناغاة (من الولادة إلى الشهر الخامس)، مرحلة البأبأة (من الشهر الخامس إلى الشهر الثاني عشر)، مرحلة الأصوات ذات الكلمة الواحدة (من الشهر التاسع إلى الشهر الثامن عشر)، مرحلة التلفظات ذات الكلمتين (من سن السنة والنصف إلى سن الثلاث سنوات والنصف)، وأخيراً مرحلة البنية الأساسية للغة الراشدين (بدءاً من سن الأربع سنوات). وبحلول عامه الخامس يكون الطفل قد امتلك ما يقارب ستة آلاف كلمة في المتوسط. كما يكون قادراً على استعمال ١٥٠ كلمة في الدقيقة واحدة، وبأقل قدرٍ من الأخطاء النحوية.

قدم علماء اللسانيات وعلماء النفس العديد من النظريات لفهم الكيفية التي تتم بها عملية اكتساب اللغة. ويتناول كاتب البحث ثلاث نظريات بارزة في هذا الشأن، وهي: النظرية الفطرية، والنظرية السلوكية، والنظرية الإدراكية. وتقرر النظرية الفطرية أن قدرة الطفل عل اكتساب اللغة عائدة أساساً إلى امتلاكه قابلية فطرية متأصلة فيه. ولعل أبرز القائلين بهذه النظرية اليوم هو عالم اللسانيات الشهير نعوم تشومسكي الذي طور في الستينيات فرضية مفادها أن الطفل مزود بجهاز اكتساب لغة Language Acquisition Device LAD يساعده على تطوير لغة متكاملة انطلاقاً من المعلومات اللغوية القليلة التي يكتسبها من المحيط. وأهم الحجج التي تقوم عليها هذه النظرية هي حجة «فقر المحفز» poverty of stimulus، فبحسب زعم الفطريين فإن محيط الطفل لا يوفر له ما يكفي من التصويبات اللغوية، ولا يعرضه مطلقاً لما يعرف بالشواهد السالبة، أي تلك الشواهد التي من شأنها أن تنبهه إلى ما هو غير صحيح نحوياً. وبناءً على هذا الزعم فإن اكتساب اللغة ما كان له ليتم، في ظل فقر المحفز، لولا امتلاك الطفل لمعرفة متأصلة بالنحو. هذه المعرفة الفطرية هي ما يطلق عليه نعوم تشومسكي «النحو العام»، أو الكلي، وهو عبارة عن مجموعة من المبادئ الموجودة بداخل جهاز اكتساب اللغة الخاص بكل طفل.

أما النظرية السلوكية، فإنها تشدد على أهمية السلوكيات الظاهرة التي تقوم على التكييف، والذي ينقسم إلى نوعين؛ هما: التكييف التقليدي والتكييف الفعال. التكييف التقليدي هو الاستجابة الطبيعية لمحفزٍ من المحفزات، كخوف الطفل مثلاً من الوقوع أثناء تعلمه المشي. في حين أن التكييف الفعال يحدث في ظل وجود نظام للمكافأة والمعاقبة. ويرى عالم النفس الأمريكي بورهوس فردريك سكينر أن الأطفال يتعلمون اللغة بفضل التكييف الفعال. فالأطفال يربطون بين سلوكهم وبين النتيجة، وكلما قوبلوا بتشجيع الأبوين على أحد سلوكياتهم، فإنهم يعمدون إلى تكرار ذلك السلوك للحصول على نفس النتيجة. والأمر نفسه ينطبق على اكتساب الأطفال للغة. فهم يعمدون إلى محاكاة البالغين وتكرار ما يلتقطونه منهم أملاً في نيل تشجيعهم، وعبر المحاكاة والتكرار يصلون لاكتساب اللغة أخيراً.

من جهتها، تطرَح النظرية الإدراكية (المعرفية) فكرة القابلية البيولوجية على التكيف مع البيئة. ومطور هذه النظرية هو عالم النفس السويسري جان بياجيه الذي يرى أن الطفل لديه استعداد وراثي لتطوير ملكة الذكاء واكتساب المعرفة عموماً. وترتكز النظرية الإدراكية على مفاهيم التمثل والمواءمة والذكاء. وينص مفهوم التمثل على أن الطفل يتمتع بالقدرة على استيعاب المعلومات الجديدة وتضمينها في بنى راسخة، فيما يشير مفهوم المواءمة إلى القدرة على تغيير البنى العقلية من أجل اكتساب خبرات جديدة. ويكمن دور الذكاء في كونه يمثل حلقة الوصل بين هذين المفهومين. ويؤكد جان بياجيه أنه لا يمكن فهم تطور الإنسان إلا من خلال مقاربة تضع في اعتبارها العوامل الفطرية والبيئية معاً، وهو الرأي الذي يميل إليه كاتب البحث بدوره.

الجدل اللانهائي بين المؤمنين بالعدل الإلهي والمشككين فيه

• هاجر السعدية

في صيرورة الحياة الطبيعية، يعترض الفكر الإنساني محن وابتلاءات تقوده إلى التفكير وفق منهج السببية للتعرف على سبب المحنة، وكلما تعاظم أثر المحنة، استغرق الإنسان مزيدا من الوقت في التحليل والتفكير لمعرفة السبب؟ وكيف؟ ولماذا؟ وهنا نجد أن المجتمع البشري يثير مسائل متعلقة بالإيمان والعدل الإلهي، ومسؤولية الإنسان، ووجود الله. ووفقا لهذه القضية، ينقسم الناس إلى فرق ومذاهب.

ويمكننا اختزال الفرق المتباينة في التفسير والتأويل لهذه القضية إلى فريقين:

الفريق الأول: يؤمن إيمانا تاما بأنَّ ما حدث هو ابتلاء مباشر من الله تعالى للإنسان، وهي إشارة غضب من الله، ودعوة للإنسان نحو التأمل وإعادة النظر في أفعاله وإيمانه ومسألة قربه من الله.

الفريق الثاني: يؤمن بأن ما حدث لسبب تسبَّب فيه الإنسان ويمكن للإنسان معالجته.

وهنا.. يتجلى الصراع الأزلي والتاريخي بين المؤمنين بوجود الله والعدل الإلهي والمشككين فيه. ولقد يتفاوت شكل وقوة هذا الصراع بناءا على الأحداث في الحياة اليومية، فالعالم اليوم يشهد أزمة مع جائحة «كوفيد ١٩»، لقد أخذ العالم وقته حتى يستفهم ويستكشف طبيعة ومسببات الفيروس، مما أدى إلى بروز هذا الصراع على السطح نتيجة التحديات التي واجهتها البشرية لمقاومة فيروس كورونا، هناك من ادعى أن الفيروس هو عقاب من الله للبشرية إلخ. ولقد تناول الدكتور إبراهيم الديبو أستاذ العقائد والأديان في بحثه المنشور بمجلة «مقاربات» العدد الثامن ٢٠٢٠ بعنوان (المحن والابتلاءات بين العدالة الإلهية والمسؤولية الإنسانية)، والمنشور بمجلة «التفاهم» هذه القضية الجدلية، مشيرا إلى أنه نشأت مذاهب وفرق تعبر عن موقفها من المحن والابتلاءات وارتباطها بالفعل الإلهي.

ووفقا لتصنيف دكتور إبراهيم يوجد صنفان من الناس:

الأول: مؤمن بالله، مصدق بعدله وحكمته لكن يريد أن يطمئن من خلال معرفة الحكمة من الابتلاءات والمحن وعلاقتها بعدل الله.

الثاني: منكر ومكذب، يسعى جاهدا إلى عرض نماذج من الابتلاءات والمحن ليجعل منها مادة للتشكيك بعدالة الله.

العدالة الإلهية وعلاقتها بالفعل الإنساني

العدل هو إعطاء كل شي حقه من المكانة والمنزلة، وهو ضد الظلم. والله تعالى عادل حكيم، وجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تؤكد هذه المعلومة، قال الله تعالى» ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ». الأدلة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية واضحة وصريحة في إثبات العدالة الإلهية، وأهمية العدل وتحريم الظلم. ولكن هذا يأخذنا إلى استفهام عن كيفية فهم العدالة الإلهية في ظل الظروف التي نرى فيها القتل والجوع والفقر والمرض والآلام؟

فالإجابة عن هذا السؤال وفقا للباحث الدكتور إبراهيم الديبور ترتبط بسنن الله وعقيدة المسلم وموقفه من الصفات الإلهية، وهي كالآتي:

- أبرز مظاهر العدالة الإلهية؛ خلق الإنسان وتزويده بالإرادة الحرة التي هي مناط المسؤولية والمحاسبة. فالجميع يملك حرية الإرادة المؤمن وغير المؤمن.
- وضع الله الإنسان في ميدان الاختبار، ولم يسلب منه أدوات الاختبار؛ فالإنسان يقدر على الكسب والسعي والتمييز. قال الله تعالى: « أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ».
- قانون العدالة الإلهية لا ينظر إلى الخلق بل إلى الخُلق، لا ينظر إلى الجسد بل إلى القلب، ولا يحاسب الإنسان على شيء لم يفعله أو شيء لا يستطيع فعله «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا».
- إنَّ مظاهر البلاء والحروب والفقر والآلام سُنَّة إلهية، ملازمة لطبيعة الحياة الدنيا التي جعلها الله دار ابتلاء وليست دار قرار وجزاء.
- ليست الحياة الدنيا -بقصر مدتها- هي المعبرة عن كمال العدالة الإلهية، بل هناك حياة أخرى ممتدة تتجلى فيها العدالة الإلهية.
- وجود المجرمين والظالمين لا يتضمن إقرارا بما فعلوه، أو أن العدالة الإلهية غافلة عن ذلك بل سيحاسب ويجازى كل ظالم.
- الجزاء يوم القيامة له ميزان حق وعدل وفق قانون التفاضل بالعمل والسعي والبذل والصبر... إلخ.

سنة الابتلاء وارتباطها بالحب أو العقوبة الإلهية

الابتلاءات والمحن عند الإنسان المؤمن عندما تحل عليه مصيبة أو محنة مؤلمة نجده يسأل نفسه: ماذا فعلت في حياتي حتى يحدث هذا الأمر معي؟ وهذا يأخذه إلى إعادة التفكير والنظر في تاريخه لتصحيحه ظنا منه أن الابتلاءات سوف تتوقف في حال أنه قوم سلوكه ونواياه. وكذلك نشهد إذا حل بالآخر مصيبة وهذا الآخر بدا سيئا مع الناس يقال: هذا جزاؤه من الله في الحياة الدنيا، وفي الجانب الآخر هذا الإنسان نفسه من يعتقد أنه إذا فرجت عليه مصيبة أو أزمة أو شفى من مرض ما يفسر الأمر بأنه حب إلهي، نتيجة نواياه الطيبة وقربه من الله.

نجد أن الباحث يشير إلى أن التصورات أعلاه خاطئة عن علاقة الابتلاء بالعقوبة أو الحب. معللا ذلك بـ:

- أن المنع والفقد عقوبة والعطاء إكرام من الله تعالى، وقد صور القرآن صورة الانحراف في هذا الفهم بقوله تعالى: (فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي× وَأَمَّآ إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي).
- أن الابتلاءات نوع من أنواع الحب الإلهي. وهذا تصور خاطئ أن ينظر إلى الابتلاءات على أنها هدايا إلهية، ودلالة على قرب الإنسان من ربه، مفسرا ذلك بواجب النظر إلى الأنبياء عليهم السلام، فهم لم ينالوا المنزلة السامية والرفعة من خلال ابتلائهم فقط بل بسبب صبرهم وإيثارهم، فحب الله يرتبط بمن رضى وصبر وابتغى بذلك وجه الله. أي أن الرضا من الله والجزاء يقترنان بالصبر على الابتلاء، فالمؤمن يقابل البلاء بالصبر والاحتساب، أما الجاحد فلا يصبر ولا يحتسب. فالابتلاءات في حقيقتها تنبيه للفطرة البشرية وتذكيرها. وثمة حكم مرتبطة بها كالآتي:
- أن الله تعالى يعلم من كان صادقا ومؤثرا في طاعته على كل شيء.
- أن يصيب الابتلاء الناس ليتضرعوا إلى ربهم ويقروا بعبوديتهم.
- ليميز الله الخبيث من الطيب، ويظهر فضل المؤمنين.

ونجد أنَّ الباحث في تمحيصه وتحليله لقضية العدالة الإلهية والتكليف البشري مبالغ في الفكرة الرئيسية التي يصبو إليها متجاهلا بذلك تحليل ومنظور المشككين والمنكرين لهذه العدالة الإلهية، ووصفهم بأنهم ضيقوا الأفق والرؤية، كما شكك في نواياهم. والحقيقة أن هذه القضية ستظل محل نقاش وجدل بين تيار المؤمنين والمشككين إلى ما لا نهاية. حيث لا يمكننا الجزم في فلسفة الحياة والعدالة الإلهية والتكليف البشري. فالإنسان حقل من الممكنات ومصنوع من النقائض.

hajirwork@outlook.com

النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها

مجلة التفاهم هاتف : 24644031 - 24644032 968+ , فاكس : 24605799 968+
البريد الإلكتروني : www.altafahom.net - al.tafahoom@gmail.com - tasamoh@gmail.com